

معاني كلمتي عاقر و عقيم ودلالاتهما اللغوية في القرآن الكريم

رسالة جامعية



قدمها:

ضيف أكبر

A51208020

كلية الآداب قسم اللغة العربية وأدبها
جامعة سونن أمبيل الإسلامية الحكومية

سورابايا

2012

خطاب الرسمي

حضرة صاحب الفضيلة

عميد كلية الآداب جامعة سونن أمبيل الإسلامية الحكومية سورابايا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بعد الاطلاع و ملاحظة ما يلزم تصحيحه في هذه الرسالة الجامعية بعنوان

"معاني كلمتا عاقر و عقيم ودلالاتهما اللغوية في القرآن الكريم" التي قدمها الطالب

الجامعي :

الاسم : ضيف أكبر

رقم التسجيل : A٥١٢.٨.٢٠ :

القسم : اللغة العربية وأدبها

نقدم على سيادتكم مع الأمل الكبير في أن تتكرموا بإمداد اعترافكم

الجميل بأن هذه الرسالة مستوفية الشروط كبحث جامعي للحصول على الشهادة

الجامعية الأولى (S1) في اللغة العربية وأدبها وأن تقوموا بمناقشتها في الوقت المناسب

هذا و تفضلوا بقبول الشكر و عظيم التقدير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سورابيا، ۶ - يوليو - ۲۰۱۲

المشرف

Princip

(الدكتور اندوس فتح الرحيم الماجستير)

الباب الأول

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذى أنزل القرآن بلسان عربى مبين
والذى خلق الإنسان وعلم البيان وبه يهدى إلى الصراط المستقيم، والصلاة
والسلام على نبينا ورسولنا أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.

فبهداية الله وعنايته يستطيع الباحث أن يقدم هذه الرسالة لكلية الآداب قسم اللغة العربية وأدبها جامعة سونن أمبيل الإسلامية الحكومية سورابايا تحت عنوان "كلمتا عاقر و عقيم ودلالاتهما اللغوية في القرآن الكريم".

1. خلفية البحث

وقبل الوصول إلى البحث عن المادة المقصودة جدير للباحث أن يسير إلى

خلفية هذه الرسالة :

فمن المعروف أن اللغة العربية هي لغة الإسلام والمسلمين منذ بزوغ فجر

الإسلام. فيها نزل القرآن الكريم دستور المسلمين، وبها تحدث خاتم الأنبياء

والمرسلين، ثم إنها أقدم لغة حية في العالم، لم يعتريها التغيير والتبديل.¹

نعمة الإنجاب نعمة لا يعادلها شيء في حياة الإنسان ذكراً أم أنثى،

وقد امتن الله على عباده بذلك وجعلها آية من آياته الدالة على قدرته وهبته من

هباته لعباده. والتناسل سنة الله التي قامت عليها الخليفة بدءاً بآدم عليه السلام

وابنه قابل و هابيل، بل هو سنة الله في جميع المخلوقات التي ذراها في هذه

الكون ولذا عدّ هو الأصل، وما عداه خارج عليه.

ولو تأملنا الأنبياء عليه السلام لوجدنا أن أكثرهم رزق بالبنين والبنات،

يقول الله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً)²، ولم

1. محمود إسماعيل صبي، العربية للناشئين، (المملكة العربية السعودية) : وزارة المعارف، بدون السنة، ص : د¹

وقد حثَّ الإسلام على تناكح و التناسل و الإنجاب والسعي للحصول على الولد، وقال عليه الصلاة و السلام (تزوَّجوا الودود الولود فيني مكاترٌ بكم الأمم) وقال (لا تزوَّجنَّ عاقرا فيني مكاترٌ بكم)

وقد استوقفني في القرآن الكريم - وما أكثر ما استوقفني فيه - ورود كلمتين تدوران في هذا الإطار - أعني الإنجاب - ولكن في وجه المضاد له سلبا وهما كلمتا "عافر" و "عقيم"، فرأيت أن أخصّهما بدراسة أسلوبية لغوية، تتبّع مواضع و مواقع ورودهما في القرآن، وتتأمل في استعمال النص أو الأسلوب القرآني لهما، وما فيهما من قيم صوتية و دلالية سواء أكان ذلك

³. تفسير القرطبي (49/16)، الكشف، للزمخشري (183/4)

على مستوى المفردة القرآنية انتقاء واختيارا لها دون سواها أم على مستوى التراكيب القرآنية.

وقد وردت هاتان اللفظتان في مواضع متعددة من القرآن الكريم، بلغت سبعة مواضع، منها ثلاثة مواضع للفظ العاقر وأربعة مواضع للفظه العقيم. ولا شك أن من تلك الأساليب طلعت المعاني الكثيرة المتفرقة. فلذلك يحتاج لهذا البحث التحليلي، سيما في جهة علم صناعة الأسلوب وغيره. وهذا لا يكون إلا بالنظر إلى مواد علم الدلالة خاصة. وهذا التقرير الذى يريد الوصول إليه الباحث لإنتاج أعين الناس خاصة الطلبة والطلبات في فهم حقيقة معاني آية القرآن. لا سيما في كلمة العاقر و العقيم في القرآن الكريم.

2. قضايا البحث

وقبل أن يدخل الباحث في لب البحث في هذه الرسالة بالتفصيل

يحسن أن يبين الباحث عن القضية الأساسية في موضوع هذه الرسالة كما يلي:

أ. أين وقعت كلمة العاقر و العقيم في القرآن الكريم ؟

ب. ما معنى كلمة العاقر و العقيم في القرآن الكريم ؟

ت. هل هناك الاختلاف و التشابه بينهما من ناحية المعنى؟

3. فروض العلمية

تضمن سور القرآن بعض أوامر الله تعالى التي عملها الإنسان لوجود

العلاقة بين الخالق و المخلوق على الأرض و الأوامر فيها تحتاج إلى معاني، إلى أن

تتأثر هذخ الآيات القرآنية في الحياة الإنسانية إذا تتكون القرآن من الكلمات و

المعاني و كلمة العاقر و العقيم وقعت في بعض الآيات من سورة القرآن الكريم

منها جاءت المادة (العاقر) في ثلاث آيات من سورة القرآن منها :

سورة آل عمران : 40، سورة مريم : 5 و 8. وأربع آيات للفظه

(العقيم) أولها سورة الحج : 55، سورة الذاريات : 29، سورة الذاريات : 41

و سورة الشورى : 50

فمن معاني العاقر منها :

و معاني العقيم منها : القيامة، العذاب. و أن كل كلمة المكتوبة في القرآن الكريم يحتاج إلى معاني شتى بل ليس معنى واحد فقط لأن كل كلمة يدل على معنى من المعاني في القرآن الكريم.

و هذه المواضع السبعة منها خمسة متصلة بالمعنى الاصطلاحي لهاتين اللفظتين، وهو عدم إمكانية الإنجاب، أما الموضعان الآخران فيدوران حول الجذر اللغوي لمادة (عقم) مما يعنى أن لفظة (عاقِر) جاءت استخدامها في القرآن بالمعنى الاصطلاحي لها، أما لفظة (عقيم) فقد اسْتُخْدِمَتْ في المعنى اللغوي لها وفي المعنى الاصطلاحي أيضا. على أنه ينبغي التنويه إلى أن الجذر اللغوي للفظـة (عاقِر) لم يكن القرآن خلوا منه، فقد ورد في خمسة مواضع، كلها جاءت بصيغة الفعل (عقر) حديثا عن قومه صالح -عليه السلام- وما صنعوه في آية الله التي أرسلها إليهم وهي الناقة.

في الإبانة عن كون الاختلاف و التشابه في العبارات و الأسماء موجب
إختلاف المعاني والمساواة في كل لغة، و القول في الدلالة على الفروق بينها قال
الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله تعالى : الشهاد على أن
إختلاف العبارات و الأسماء موجب إختلاف المعاني إن الإسم كله يدل على
معنى دلالة الإشارة وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعرفه فالإشارة إليه ثانية غير
مفيدة وواضع اللغة حكم لا يأتي فيها بما لا يفيد فإن أشير منه في التأثر والثالث
إلى خلاف ما أشير إليه في الأول كان ذلك جوابا فهذه تدل على أن كل إسمين
يجريان على معنى من المعاني و عين من الأعيان في لغة واحدة.⁴ ولاختلاف من
ناحية المعنى بين هتين الكلمتين في المعنى الإصطلاحي وهو عدم إمكانية الإنجاب،
مما يعني أن كلمة (عافر) جاء استخدامها في القرآن بالمعنى الإصطلاحي لها، أما
كلمة (عقيم) فقد استُخدمت في المعنى اللغوي لها.

⁴ . حسام الدين القدسي، الفروق اللغوية (دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط: 4) مجهول السنة ص: 10

4. توضیح الموضوع وتحديدہ

الإدراك مفهوم موضوع الرسالة، فلا بد للباحث أن يوضح معاني

الكلمات التي تتكون فيها الموضوع المختار وهي :

1. كلمتا : اللفظة، ما ينطق به الإنسان مفردا كان أو مركبا.⁵

و الألف نيابةً عن الضمة لأنه إسم مشئ

2. العاقر : فاعل من عقر يعقر عقرًا فهو عاقرٌ لم يلد.⁶

3. و : الحرف السابع العشرون من الحروف المباني وهو الحرف

الجوف والواو هنا حرف العطف، وذل على الاتصال بما

قبل⁷

4. العقيم : عقم يعقم عقمًا، التي لا تقبل الولد ولا تلد.

5. دلالة : مصدر من دل يدل دلالة، وهو العلم الذي

يدرس المعنى.⁸

4. لويس المنجد، ص 690

5. المعجم العربي الأساسي، (للمناطقين بالعربية ومتعلميها، جامعة من كبار اللغويين العربي 1988)،

6. مصطفى الغلاييني، جامع الدروس، ص. 512

الكثير في القرآن عند المفسرين. ثم حلل الباحث عن الحقيقة معناه بنظرية علم الدلالة.

5. سبب اختیار الموضوع

إن الدوافع لاختيار الموضوع في بحث هذه الرسالة هي :

1. معنى الكلمة في القرآن الكريم لا بد منه أن كل كلمة تدل على معنى من

المعاني من حيث آراء العلماء وأهل اللغة و المفسرين على ما اراد الله في القرآن الكريم.

2. بعد أن قرأ الباحث الموضوعات في كل دراسة اراد الباحث في بحث

دراسة دلالية عن كلمة العاقر و العقيم في القرآن الكريم.

6. الهدف الذي يراد الوصول إليه

وأما الهدف الذي يراد الباحث للوصول إليه هو :

- المنهج البياني : وهو أن يبحث الباحث من حيث المسألة أو من نفس المسألة من مصادر والمراجع وهي كتب التفسير وكتب المعنى وما يتعلق بها.
- منهج التحليلي : وهو حل الباحث مسألة بتحليل عن نفسه ويؤكد بتحليل المفسرين من حيث المعنى عن كتبهم ومؤلفاتهم.

9. عرض البحث

لتسهيل البحث والدراسة وللوصول إلى النتائج المنشودة قسم الباحث إلى

أبواب وہی کما یلی :

الباب الأول : بدئت بالمقدمة التي تستعمل فيها على : خلفية البحث، و قضية

البحث، وفروض العلمية، وتوضيح الموضوع وتحديدته، وسبب

إختيار الموضوع، أوالهدف الذي يريد البحث الوصول إليها،

نَذِيرًا. 21

جهة كونه مهموزاً أو غير مهموز. وبعض آرائهم فيها يأتي :

1. يقول الشافعي : إن لفظ القرآن المعروف بأن ليس مشتقا ولا مهوزا بل

ارتحل ووضع علما على الكلام المنزل على النبي صلى الله عليه

وسلم. فالقرآن عند الشافعي لم يؤخذ من قرآن. ولو أخذ من قرآن

²² لكان كل ما قرئ قرأنا. ولكنه اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل.

2. يقول الأشعري : إنه مشتق من "قرأت الشيء بالشيء إذا ضمنت

أحدهما إلى الآخر وسمي به "القرآن" لقرآن السور والآيات فيه.

²⁰. القرآن الكريم، الأعراف : 158

²¹. القرآن الكريم، الفرقان : 1

22. الدكتور صبحي الصالح، مباحث في علم القرآن، (بيروت: دار العلم للملايين)، ص: 18

3. يقول الفراء : إنه مشتق من "القرائن" لأن الآيات منه يصدق بعضها

بعضها، ويشابه بعضها بعضا، وهي قرائن. وواضح أن النون في

²³ "قراءن" أصلية.

ومن رأى أن لفظ "القرآن" مهموز ومنه الزجاج والليثاني :

1. يقول الزجاج : إن لفظ "القرآن" مهموز على وزن فعلان مشتق من

القرء. بمعنى الجمع، ومنه قرأ الماء في الحوض إذا جمعه لأنه جمه ثمرات

الكتب السبعة.

2. يقول اللحياني : أنه مصدر مهموز بوزن الغفران، مشتق من قرأ بمعنى

24. تلاً، سُمي بالمقروء تسمية المفعول بالمصدر.

وذهب المحققون من الأصوليين والفقهاء وأهل العربية إلى أن لفظ "القرآن"

على شخص، مدلوله : الكلام المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من أول

²³ محمد بن محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم (القاهرة : مكتبة السنة الجديدي)، ص: 19

²⁴ . صبحی الصالح، مباحث، ص : 19

فالحللاصة من تلك التعريفات المذكورة أنه كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم المنجز بلفظه المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس.

ب- في كيفية إنزاله

[illegible]

فيه مسائل، الأول : قال الله تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن)

وقال أيضا (إنا أنزلناه في ليلة القدر). اختلف في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ

على ثلاثة أقوال : وهو الأصح الأشهر : أنه أنزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة

واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجما في عشرين سنة أو ثلاثة وعشرين أو خمس و

عشرين على حسب الخلاف في مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد البعث.

القول الثاني : أنه أنزل إلى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر، وثلاث

وعشرين أو خمس وعشرين في كل ليلة ما يقدر الله إنزاله في كل سنة، ثم أنزل

بعد ذلك منجما في جمع السنة. وهذا القول ذكره الإمام فخر الدين الرازي بحثا

فقال يحتمل أنه كان ينزل كل ليلة قدر ما يحتاج الناس إلى إنزاله إلى مثلها من

اللوحة إلى السماء الدنيا، ثم توقف هل هذا أولى أو الأول.

وقال ابن عربي : لم يأت في معنى هذا السبع نص ولا أثر، واختلف الناس في تعيينها. وقال الحافظ أبو حاتم بن حبان البستي : اختلف الناس فسيها على خمسة وثلاثين قول. وقد وقفت منها على كثير، فذهب بعضهم إلى أن المراد التوسعة على القارئ ولم يقصد به الحصر.

والأكثر على أنه محصور في سبعة، ثم اختلفوا : هل هي باقية إلى الآن نقرؤها؟ أم كان ذلك أولاً؟ ثم استقر الحال بعده على قولين. وقال القرطبي²⁹ : إن القائلين بالثاني - وهو أن الأمر كان كذلك ثم استقر على ما هو الآن هم أكثر العلماء: منهم سفيان بن عيينة، وابن وهب³⁰، والطبراني³¹، والطحاوي³²، ثم اختلفوا : هل استخر في حياته صلى الله عليه وسلم أم بعد وفاته؟ والأكثر على الأول.

²⁹ هو محمد ابن أحمد بن أبي بكر فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين صالح متعبدة من أهل القرطبي توفي في سنة 671 هـ.

³⁰ عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود، الأسدي القشبي: صاحب من الشعراء، اسلم يوم الفتح و قتل في المدينة يوم عصر العثمان في داره

³¹ محمد بن عزيز يزيد الطبري، ابو جعفر: المؤرخ المفسر ا. محمد بن عزيز يزيد الطبري، ابو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام، ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها سنة 310 هـ. من كتابه : "أخبار الرسل و الملوك"، و "جامع البيان في تفسير القرآن" و "اختلاف الفقهاء" وغير ذلك

³² هو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة، الأزدي الطحاوي، فقه انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر ولد سنة 239

33. تلقى الناس.

د- الفرق بين الترجمة و التفسير و التأويل

إن الترجمة هو تبیین الكلام أو اللغة بلغة أخرى كما قيل: اعلّموا أن الترجمة لغة النقل، وعرفا قسمان : ترجمة معنوية تفسيرية، وهي عبارة عن بیان معنی

³³. نفس المرجع، ص: 271-272

مفهوم علم الدلالة

وقد تكون اللغة وسيلة بين الناس، واللغة مترقية ومتوسعة على حسب احتياج الإنسان على غرض شيء في الحياة، و اللغة تتعلق كثيرا بعلم المعنى و علم الدلالة هو علم يدرس المعنى وقد أطلق هذا العلم في اللغة الإنجليزية كلمة *semantics* أشهرها بهذا الاصطلاح وأما في اللغة العربية بعلم الدلالة أو بعلم المعنى وكلمة السيمانتيك تعرييا من الكلمة الإنجليزية أو الفرنسية.³⁸

ومن هذه التعاريف يلخص الباحث أن علم الدلالة هو الذي يدرس المعاني، سواء كانت موجودة في الكلمات و الجمل أو موجودة في الرمز و العلامات، وذلك المعنى يرفع بطريق إعطباطي المجتمع الإنساني وأما أمثلة المعنى الذي المكان في الكلمات فلا يحتاج دراسة في البحث.

أما أنواع علم الدلالة فتقسم بحسب مصدرها إلى ما يأتي :

³⁸. أحمد مختار عمر، علم الدلالة (مكتبة العرونة للنشر و التوزيع، مجهول السنة)، ص: 11

هناك نوع من الدلالة يستمد عن طريق الصيغ وبيتها، ففي الجملة السابقة تخير المتكلم كلمة (كذاب) بدلا من (كاذب) لأنه الأولى جاءت على صيغة يجمع اللغويين القدماء على أنها تفيد المبالغة. فكلمة (كذاب) تزيد في دلالتها على كلمة (كاذب)، وقد استمدت هذه الزيادة من تلك الصيغة المعينة. فاستعمال كلمة (كذاب)، يمد السامع بقدر من الدلالة لم يكن ليصل إليه أو يتصوره لو أن المتكلم استعمل كلمة (كاذب).⁴⁰

3. الدلالة النحوية

يحتّم نظام الجملة العربية أو هندستها ترتيباً خاصاً لو من اختل أصبح من العسير أن يفهم المراد منها. تصور مثلاً أن حملتنا السابقة أصبحت (لا تصدقه في وسط الصحراء فهو هل يعقل في ثوان النقط كذاب العين تنضخ).⁴¹

4. الدلالة المعجمية أو الاجتماعية

⁴⁰. نفس المرجع، ص: 43

⁴¹. نفس المرجع، ص: 44

ثانيا : و إما أن تكون دلالة طبيعية، وهي الدلالة التي ليس بين الملزوم و

اللازم فيها ارتباط عقلي، إلا أن النظام الذي وضعه الله في الطبيعة قد أوجد هذا

الترايط، فإذا سألنا العقل المجرد عن ملاحظة النظام الموجودة في الطبيعة لم يجد

تعلّيلًا عقليًا له، غير أن الاختبار المتكرر للأحداث الطبيعية قد نبه على وجود

هذا الترابط في الواقع ولكن ليس لدى العقل المجرد مانع من انفكاكه لو ثبت

ذلك في الواقع ولو نادرا.

مثال ذلك : دلالة ارتفاع درجة حرارة جسم الإنسان على حالة من

حالات المرض، ودلالة التقئؤ والإسهال الشديدين على الإصابة بمرض الهيضة

(الكوليرا).

ثالثا : وإما أن تكون دلالة وضیعة، وهي دلالة الشيء ما تواضع الناس في

اصطلاحهم على أن يكون دالا على معنى معين، وقد يكون هذا الشيء معلما

من المعالم أو رسما من الرسوم أو لفظا من الألفاظ.

ثَانِيَا : فَأَقْبَلَتْ أُمْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۝

و من هذه الأمثال يرى الباحث بأن علم الدلالة مهم جدا لمن أراد أن يتعلم أو يفهم معاني آيات القرآن أو العلوم المتعلقة بالقرآن لأن الكلمة لابد تكون من أحد الدلالات الخمسة منها المعنى الأساسي والمعنى الإضافي و المعنى الأسلوبى و المعنى النفسى و المعنى الإيحائى.⁴⁴

و المفهوم من أنواع المعاني الخماس كما يلي :

1. المعنى الأساسي أو المركزي ويسمى أحيانا المعنى التصوري أو المفهومي

Conceptual Meaning أو الإدراكي *Cognitive*. وهذا المعنى هو

العالم الرئيسي للاتصال اللغوي و الممثل الحقيقي للوظيفية الأساسية

للغة وهي التفاهم ونقل الأفكار. ومن الشرط لاعتبار متكملين بلغة

معينة أن يكونوا متقاسمين للمعنى الأساسى ويملك هذا النوع من المعنى

⁴⁴. المرجع السابق، الدكتور احمد مختار عمر، ص: 37

ترتبط في أذهان جماعة معينة تبعا لوجهة نظرهم الفردية أو الجماعية
أو لوجهة نظر المجتمع ككل (استخدام البكاء - عاطفية - غير
منطقية - غير مستقرة)

3. المعنى الأسلوبي. وهو ذلك النوع من المعنى الذي تحمله قطعة من اللغة
بأنسبة للظروف الإجتماعية لمستعملها والمنطقة الجغرافية التي ينتمي
إليها، كما أنه يكشف عن مستويات أخرى مثل التخصيص ودرجة
العلاقة بين المتكلم و السامع ورتبه اللغة المستخدمة (أدبية - رسمية -
عامية - مبتذلة . . .) ونوع اللغة (لغة الشعر - لغة النثر - لغة
القانون - لغة العلم - لغة الإعلان . . .) والواسطة (حديث -
خطبة - كتالة . . .)

4. المعنى النفسي، وهو يشير إلى ما يتضمنه اللفظ من دلالات عند الفرد
فهو بذلك معنى فردي ذاتي، و بالتالي يعتبر معنى مقيدا بالنسبة

لمتحدث واحد فقط. ولا يتميز بعمومية، ولا التداول بين الأفراد جميعاً.

5. المعنى الإيحائي، وهو ذلك النوع من المعنى الذي يتعلق بكلمات ذات مقدرة خاصة على الإيحائي نظرا لشفافيتها، وقد حصر أولمان تأثيرات هذا النوع من المعنى في ثلاثة هي : التأثير الصوتي، التأثير الصرفي و التأثير الدلالي.

الباب الثالث

معاني كلمة العاقر و العقيم في القرآن الكريم

الفصل الأول

موقع كلمة العاقر و العقيم في القرآن الكريم

أ- موقع كلمة العاقر في القرآن الكريم

ذكرا لسببين مانعين من الإنجاب وهما: كبر سن زوج، وعقر الزوجة ولكنه في
الموضع الثالث اكتفى بذكر سبب واحد يحول دون الإنجاب وهو عقر الزوجة وفي
هذا ما يدل على أن زكريا عليه السلام كان يعرف من نفسه أنه لم يكن عاقرا
ولذلك ذكر الكبر ولم يذكر العقر.⁴⁹

ويستوقفنا في هذين الموضعين أيضا أن القرآن قدّم في آل عمران على لسان "زكريا" كِبَرُ سنّه وأخر عقر زوجه و لكن قدّم في "مريم" عقر زوجه وأخر كِبَرُ سنّه، ومثل هذا التقديم و التأخير حفيّ بالنظر والتأمل، و التماس وجهه البلاغي. وقد ذكر بعض العلماء تعليلا لذلك فقالوا: لكي تتناسب رؤوس الآي في "مريم" بقوله : عتيا، وليا، رضا، وعشيا وأيضا لما قدمه أولا بقوله {وهن العظم منّي} و {وكانت امرأتى عاقرا} أخره ثانيا تفننا في الفصاحة. على أنني ألس شيئا آخر غير ما ذكر في التقديم و التأخير هنا، وهو أن العقر يُعدّ السبب الرئيس في عدم حدوث الإنجاب، أما كبر السن فليس فيه الغالب ما

⁴⁹. روح المعاني (67/8)

وذلك اكتفى القرآن في موضع من هذه المواضع الثلاثة بذكر عقر المرأة سببا وحيدا لعدم إمكانية الإنجاب كما تقدم. وكان هناك العلماء من ذكر عن العاقر من النساء هي التي لا تلد لكبر سنّها،⁵⁰ وكأنه يجعل كبر السن سببا للعقر فإنك هناك منهم أيضا من يفسر العقر من النساء بأن هي التي لا تلد من غير كبر. وكأنه يعدّ العقر غاية لا سببا أي أنه ينظر إلى العقر على أنه داء مطلق في ذاته دون تحديد يكبر سنّ أو غيره وهذا ما أميل إلى القول به.

⁵⁰. ينظر : تفسير القرطبي (79/11)

51. الإسناد المجازي : هو اسناد الفعل أو في معناه إلى ملابس له غير ما هو له

كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٦﴾

حينما تعجبت من محيىء ابن لها دون أن يمسه بشر، بقوله {كَذَلِكَ أَلَّفُ اللَّهَ يَخْلُقُ

لشيء هو كان أصلاً. أما المعجزة عيسى فمعجزة خلق لشيء غير كائن أصلاً.

[illegible]

فالإصلاح هنا كما قال قتادة وسعيد بن جبير و أكثر المفسرين هو أنها "كانت عاقرا فَجُعِلَتْ ولودا".⁵⁸ أو كما يقول الفراء (إنها كانت عقيما فجعلناها تلد فذلك صلاحها).⁵⁹ أو كما يقول أحد المعاصرين (استحيينا فيها

وهي العجوز العاقر آلة الحمل والولادة).⁶⁰ ولذا كان الأنسب أن تذكر المعجزة

على هذه الصفة مقرونة بالفعل {يَفْعَلُ}

أما ولادة عيسى عليه السلام فجاءت دون توفر أحد طرفي المعادلة في

الإنجاب، وهو الأب حيث لم تكن الأم متزوجة قط، فالمعجزة إذن كانت في

الخلق وهو من الوجهة اللغوية والعلمية (إنشاء لشيء ابتداء أي إيجاده من عدم).

ويفسر بعض المعاصرين هذه المعجزة بقوله (إخصاب بويضة الأنثى بغير

مُخصَّب، أو خلق هذه البويضة مُخصَّبة ابتداءً).⁶¹ ولهذا كان الأنسب أن تذكر

المعجزة هنا مقرونةً بالخلق {يَخْلُقُ} دون أى لفظ آخر.

وهكذا نرى أن هاتين الحالتين كانتا مختلفتين في الغرابة ولهذا أثر القرآن في

الحالة الأولى التعبير بلفظة { يفعل } "إذ العادة جرت أن الفعل يستعمل كثيرا في

كل ما يحدث على النواميس المعروفة، والأسباب الكونية المألوفة⁶² وفي حالة

زكريا لا يشير خواطر سيئة لأن زكريا وامراته زوجان فلا شبهة إن حملت المرأة

⁶⁰. من إعجاز القرآن (228/2)

61. من إعجاز القرآن (228/2)

62. تفسير المراغي، (156/1)

لأن زوجها بجنبها وقد كان احصاها بواسطة تسخير زوجها لذلك، والتسخير والإحصاء من فعل الله. كما أثر في الحالة الأخرى التعبير بلفظة {يخلق} لأن "الخلق يقال فيما فيه ابداع و اختراع ولو بغير ما يُعرف من الأسباب"⁶³

الفصل الثالث

معاني كلمة العقيم في القرآن الكريم

أما لفظ (العقيم) في موضع واحد وللإجابة على الشق الثاني من السؤال أقول: إن القرآن أثر استخدام لفظ عقيم و تأخيرها لاعتبارين متلازمين فيما أرى أحدهما مراعاة الفاصلة القرآنية أو رؤوس الآيات كما يسميها الفراء (207هـ) و الآخر مراعاة مقتضى المعنى.

⁶³. روح المعاني (164/3)

فأما الاعتبار الأول، فالفاصلة في سورة الذاريات تنتهي بحرف النون في أغلب الآيات، وبحرف الميم في بعضها الآخر وكلاهما مقرر في علم الأصوات مجهور متوسط بين الشدة و الرخاوة، مرفقٌ، منفتحٌ، مغنونٌ (أنفى) فجاءت الفصلة بين حروف متقاربة ولم يكن ممكنا وضع (عاقِر) بدلا من (عاقِم)، كما لم يكن ممكنا تقديم لفظ (عقيم) على لفظ (عجوز) لتناسب رؤوس الآي.

وأما الاعتبار الآخر فيبانه أن العجوز قُدِّمَ هنا وهو وصف طارئٌ عليها على العُقْم وهو وصف لازم لها، فكأنها قدمت سببا حاضرا يمنع من الحمل على سبب ماضٍ، أو بعبارة أخرى كأنها أضافت مانعا متجددا إلى مانع ثابت من باب زيادة المبالغة في استبعاد حصول الشيء واستحالاته والتعجُّب من حدوثه لو حدث.

ومن المعنى اللغوي لهذه المادة اشتق أو استُعير كما يقول الزمخشري⁶⁶ عُم

المرأة و الرجل وهما اللذان لا يلد لها وعقم الملك : وهو قتل الرجل لابنه أو الابن

لأبيه إذا خافه على الملك، والداء العقام : الذي يرجى البرء منه، و الكلام

العقْمى: أى العويص الذي لا يعرف وجهه والعقل العقيم: الذي لا يجدي على

صاحبه شيئا، والريح العقيم: التي لا تلحق شجرا ولا تنسئ سحابا ولا تحمل

67. مطرا.

وسبق لنا القول إن الجذر اللغوي للفظ (عقيم) ورد في موضعين من

القرآن الكريم، أحدهما كان وصفا للريح التي أرسلها الله على قوم عاد، والموضع

الآخر كان وصفا ليوم القيامة أو يوم بدر كما ذكر ذلك المفسرون.⁶⁸

وهكذا نرى أن هذه المادة اللغوية تدل أصلا واستعارة على شيء الذي لا

فائدة فيه ولا ثمرة له و العقيم من النساء التي لا تلد و العقم وصف للرحم الذي

لا يعطي الولد أو كما يقول أصحاب المعاجم " العقم _ بفتح العين و العقم _

66. أساس البلاغي (134/2)

⁶⁷. العين، للخليل، بن أحمد الفراهيدي (210/1-211)

68. تفسير القرطبي (87/12)

بضم العين _ هزمة تقع في الرحم فلا تقبل الولد، والرحيم المعقومة كما يذكر

الكسائي : المسدودة التي لا تلد.⁶⁹

هذا اللفظ مما يستوي فيه المذكر والمؤنث فيقال : امرأة عقيم^{٢٨}، ورجل^{٢٨}

عقيمٌ، ويقول سيبويه: (و أما فعيل إذا كان في معنى مفعول، فهو في المذكر و

المؤنث سواء⁷⁰ و على هذا جاء قوله تعالى {...ويجعل من يشاء عقيما} شاملا

للتنين الرجل والمرأة

⁶⁹. لسان العرب (412/12)

⁷⁰ غريب القرآن و تفسیره، للیزیدی، ص: 349

ونحن حينما نتأمل العبارة القرآنية , والمغايرة بين ألفاظها , وإيثار بعض الألفاظ دون بعضها الآخر, ندرك أن وراء ذلك سرا بيانيا, وإيحاءً دلاليا, ووجها إعجازيا , يدفع بالباحث إلى تتبعه, ومحاولة الوقوف على فقه أساليبه . وإزاء هذا لايتأتى لنا وإن جاز لغيرنا أن نفسر لفظة (عاقِر) بـ(عقيم) , أو العكس ونسوي بينهما في الدلالات , ونغفل ما بينهما من إشارات , حيث صنيع القرآن يومئ إلى وجود فرق دقيق في المعنى بين اللفظتين, إضافة إلى أن الحس الراشد كما يسميه أستاذنا الدكتور محمد أبو موسى,⁷¹ قد لايقنع بهذا التفسير وهذه التسوية .

وفي ضوء ذلك, فإن أكاد أُلْمَس في استخدام النص القرآني لهاتين اللفظتين أن كلمة (عقيم) ذات مدلول أوسع من كلمة (عاقِر) , فهي أعم دلالة , في حين أن (عاقِر) ضيقة الدلالة.

⁷¹. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص 221

الكریم حیث ذكروا فی تفسیر قوله تعالى { قَالَ رَبِّ اَنِّیْ یَكُوْنُ لِیْ غُلَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِی

الْكِبَرُ وَأَمَرْتُ عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ {⁷³، أن العاقر وصف خاص

بالنساء ولا يوجد في الرجال و لذا يقال عاقر ولا يلبس. مما يعني أنه لفظ وضع

خاص لمعنى خاص، هذا شيء وشيء آخر أن هذه اللفظة توحى دلالتها بعدم

الإنباب مطلقا واستحالة الحمل و الولادة.

وفيما تقدم نلمس خصوصية دلالة هذه اللفظة وهذا ما يجعلني أميل إلى

القول بأن هاتين اللفظتين ليستا مترادفتين ترادفا تاما، بحيث يحملان الدلالة

نفسها في أي سياق لغوي بل هما أقرب ما يكون إلى شبه الترادف أو الترادف

غير التام، فاللفظتان بينهما تقارب في المعنى إلى درجة الإلباس دون أن يتخدا فيه.

وهذا نرى أنه يمكن القول : إن بينهما عموما وخصوصا وجهيا كما

يقول المناطق فهما يلتقيان في المدلول العام و تنفرد لفظة "عقيم" بالدلالة الواسعة

73. آل عمران : الآية : 40

في حين تنفرد لفظة "عافر" بالدلالة الضيقة، فكل عافر عقيم، وليس كل عقيم عافرا.

الفصل الثاني

أوجه التشابه بين كلمة العاقر و العقيم

وقد وردت هاتان اللفظتان إحداهما أو كليهما في مؤلفات غريبي القرآن والحديث، مقرونتين بالمعاني المتعددة لهما، وكذلك في مؤلفات التصويب اللغوي، وبخاصة فصيح ثعلب والشروح التي عليه. كما وردنا في المؤلفات الخاصة بالأفعال، من حيث ضبط فعليهما، ومصادرهما، ومعانيهما.⁷⁴

وقد تبين لي فيما اطلعت عليه من تلك المصنفات أن العلماء جمعوا بين

هاتين اللفظتين في المعنى واشتراكهما في الدلالة الواحدة.

⁷⁴. ينظر: الأفعال ، لابن قوطية، ص 192/15

75. الرحم وهو ألا تحمل.

يقول: "عافر وعقيم : بمعنى واحد، وهى التى لاتلد، والذي لا يولد له".⁷⁶

بعد حیا، کما یقال عن عقم".⁷⁷

⁸⁰ (هـ) لفظ عاقر بقوله: "عقيم لا يلد ولا يلد له".

75. العين (170/1)

⁷⁶. غريب القرآن، ص 140

77. معجم مقاييس اللغة (92/4)

⁷⁸. التلويح في شرح الفصيح، تحقيق: د. محمد عيد المنعم خفاجي، ص 15

⁷⁹. الفائق في غريب الحديث (16/3)

⁸⁰ تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، ص، 182

وهكذا يبدو لنا من خلال هذه النصوص مدى اتفاق هاتين اللفظتين واتحادهما في الدلالة اللغوية، المعجمي منها والوظيفي، الأمر الذي يجعلنا نستنتج منه مبدئياً أن هذين اللفظين يعدان من الألفاظ المترادفة في العربية !. ولم تكن المعاجم الحديثة بعيدة عن هذا التصور، فهي تسوي بينهما أيضاً في المعنى.⁸¹

على أن هناك بعض العلماء الذين ألفوا في المشترك اللفظي (Homonymy) أورد هذين اللفظين على أن كل واحد منهما مما يتفق لفظه ويتعدد معناه،⁸² وهذا يعني أنهما يقفان في الواقع اللغوي على النقيض من الاعتبار أو التصور السابق.

⁸¹. ينظر - على سبيل المثال - : المعجم الوسيط (621/2)

كلمة المكتوبة في القرآن الكريم يحتاج إلى معاني شتى بل ليس معنى واحد فقط
لأن كل كلمة يدل على معنى من المعاني في القرآن الكريم.

3. لا بد من الاختلاف و التشابه بينهما لأن قال الشيخ أبو هلال

الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله تعالى : الشاهد على أن اختلاف العبارة
و الأسماء موجب اختلاف المعاني و التشابه إذا كان من هذه المعاني سواء في
النتيجة، وما الاختلاف بينهما اختلافهما من ناحية المعنى،

التخالف بين كلمة العاقر و العقيم هو

- كلمة العقيم ذات مدلول أوسع من كلمة العاقر من ناحية دلالة

- كلمة العقيم بمعنى أن تكون المرأة لا تستطيع الحمل أصلاً أو أن يكون

الرجل في أصله غير مهيء للإنجاب

- كلمة العاقر أكثر ما تطلق على النساء فهي وصف خاص^{٢٨} بهن فحسب

وإما التشابه بين كلمة العاقر والعقيم هو:

- كلمة العاقر والعقيم : بمعنى واحد، وهى التى لاتلد، والذي لا يولد له

- أن العقر هو العُقم، والذي يعني استعقام الرحم وهو ألا تحمل

- أن لفظة العاقر مثل العقيم سواء، وهي التي لا تحبل ولا تلد

ب . الإقتراحات

قد تم هذا البحث بعون الله تعالى وهدايته تحت إشراف الأستاذ الكريم ابن

الكريم أحمد زيدون تغمده الله برحمته. إن هذا البحث العلمي الذي كتبه

الباحث لا يكون بحثاً ممتازاً وجيداً لما فيه من نقصان، لكون الباحث ليس بعليم،

لأن العلوم التي لديه قليلة بنسبة زملائه، استدلالا على قوله تعالى " وما أوتيتم من

العلم إلا قليلا " " وفوق كل ذي علم عليم " ولذلك يرجو الباحث

التصحیحات من قراء هذا البحث ومن یستفید منه إذا وجدوا الخطیئات

والنقصان. وأخيرا، يهدي الباحث أجور هذا البحث مع كونه بحثا قرآنيا لوالديه

اللذين يدعون الله تعالى لنجاحه، اللهم إن كان هذا على حق فيما كتب

قائمة المراجع

المراجع العربية :

1. محمود إسماعيل صيني، العربية للناشئين، (المملكة العربية السعودية) :
وزارة المعارف، بدون السنة، ص : د
2. أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع الأحكام القرآن :
671
3. لويس، المعلوف، المنجد و الأعلام (بيروت مكتبة القراتبة الطبعية السادسة
و العشرون)، 1987
4. محمد غفران زين العالم، علم الدلالة، 1997
5. الشيخ مصطفى الغلايين، جامع الدروس العربية، (مصر : المكتبة
المصرية)، الجزء الأول، ص 167. 9
6. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، (الرياض، منشورات العصر
الحديث)، ص 20.
7. الدكتور عبد المنعم النمر، علوم القرآن الكريم (القاهرة : دار الكتاب
المصر)، ص : 5
8. الدكتور يوسف القرضاوى، المرجعية العليا في الإسلام للقرآن و السنة،
بيروت، ص : 23
9. الدكتور صبحي الصالح، مباحث في علم القرآن، (بيروت : دار العلم
الملايين)، ص : 18

